With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"ڤايِشلاح" هو النصّ الأسبوعي الثامن من كتاب "بريشِيت"(سِفر التكوين) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الرابعة من المَقطع الثاني والثلاثين وينتهي بالآية الثالثة والأربعين من المقطع السادس والثلاثين.

كُنْ نَفْسَكَ

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

لقد برهنتُ مرارًا على أنّ الحدث الذي استحقّ فيه شعبُ بني يِسرائِيل، أي الشعبُ اليهودي، اسمه، بعد أن صارع يعقوف/يعقوب خصمًا غامضًا في عتمة الليل وتلقّى منه اسم "يِسرائِيل"، هو مفتاحٌ أساسيٌّ لفهم جوهر الهوية اليهودية، كما أوضحنا في مواضع سابقة. وأضيف هنا أنّ هذا الحدث بالغُ الأهميّة أيضًا لفهم معنى القيادة الحقيقيّة.

لقد وردت آراءٌ عدّة حول هويّة "الرجل" الذي صارع يعقوف تلك الليلة، حيث تصفه التوراة بأنّه رجل، بينما اعتبر النبي هوشِع أنّه كان ملاكًا، كما ورد في الآيتين الرابعة والخامسة من المَقطع الثاني عشر من سفر هوشِع. أمّا حكماء اليهود، فقد قالوا إنّه سَمائيل، الملاك الحارس لعيسف/عيسو، وقوّة من قوى الشرّ.[1] لكنّ يعقوف نفسه كان مقتنعًا بأنّه صارع الله عزّ وجلّ، كما ورد في الآية الحادية والثلاثين من المقطع الثاني والثلاثين من سفر التكوين: "فَدَعَا يَعْقُوفُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ، قَائِلًا: لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ* وَنُجِّيَتْ نَفْسِي."

وبحسب ما أعتقده، لا يمكننا فهم هذا الحدث إلّا في سياق حياة يعقوف كاملة: لقد وُلِدَ وهو ممسكٌ بعقبِ عيسف، ثمّ اشترى منه البكوريّة، إذ تنازل له عيسف عنها، مقابل "خُبْزٍ وَطَبِيخَةِ مِنْ عَدَسٍ"، كما ورد في الآية الرابعة والثلاثين من المقطع الخامس والعشرين من سفر التكوين. وأخيرًا، سرق منه بركته، مُجيبًا والده الكفيف عندما سأله عن هويّته: "أَنَا عِيسَف بِكْرُكَ"، وذلك كما ورد في الآية التاسعة عشرة من المقطع السابع والعشرين من سفر التكوين. ويبدو أنّ يعقوف، منذ نعومة أظافره، كان يتمنّى أن يكون عيسف.

---

1. Genesis Rabba, 77; Rashi to Genesis 32:35; Zohar I, *Vayishlaĥ*, 170a.

*ملاحظة توضيحية من المترجم: يجب أن يُفهَم تعبير "وجهًا لوجه" هنا مجازيًا فقط، لأنّ الله عزّ وجلّ لا يمتلك "شكلًا" أو "جسدًا" أو "وجهًا"، فهو منزّه عن هذه الأوصاف البشرية. وكانت التوراة أول كتاب مقدّس يؤكّد على هذه الحقيقة ويوضّحها بلا أدنى مجالٍ للشكّ.

فلِمَاذا أراد ذلك؟ لأنّ عيسف كان البكر، ولأنّه كان يمتلك بنيةً جسديةً قوّيةً، وكان ناضجًا، وكان أيضًا صيّادًا ماهرًا. لكنّ الأهم من كلّ ذلك، أنّه كان الابنَ المفضَّل لدى والده، كما ورد في الآية الثامنة والعشرين من المقطع الخامس والعشرين من سفر التكوين: "فَأَحَبَّ يِتسْحَقُ عِيسَفَ لِمَعْرِفَتِهِ بِالصَّيْدِ، وَرِفْقَه أَحَبَتْ يَعْقُوفَ".

إنّ يعقوف هو النموذج الأمثل لمفهوم "الرغبة المُحاكية" الذي ابتكره المؤرخ والأنثروبولوجي الفرنسي رينيه جيرار، بمعنى الرغبة بما يرغبه شخصٌ آخر، إذ يرغب المُقلِّدُ في أن يُصبحُ تمامًا كالشخص الذي يُقلّده.[2] وهذه الرغبة أدّت إلى تصاعد التوتّر بين يعقوف وعيسف، حتى بلغ أقصى درجاته حين اكتشف عيسف أنّ يعقوف قد أخذ البركة التي خصّصها يتسحق/إسحق له، فأقسم بأنّه سيقتل يعقوف بعد موت أبيه.

هرب يعقوف إلى أرض لافان، وهناك واجه المزيد من الصراعات. ثمّ، وهو في طريق عودته إلى وطنه، بلغه أنّ عيسف قادمٌ للقائه على رأسِ أربعمئة رجل. وفي مشهدٍ نادرٍ في التوراة من حيث قوّة التعبير عن المشاعر، ورد هذا الوصف لما أحسّ به يعقوف في الآية الثامنة من المقطع الثاني والثلاثين من سفر التكوين: "فَخَافَ يعقوف جِدًّا، وَضَاقَ بِهِ الأَمْرُ". بلا شكّ، كان خائفًا من أن يحاول عيسف قتله، وربّما كان مستاءً أيضًا على الصعيد الأخلاقي، إذ كان يُدرِك في قرارة نفسه أنّ لعداوةِ أخيه سببًا وجيهًا، فقد أساء إليه بالفعل، كما رأينا سابقًا، وذلك ما أكّده قَوْلُ يتسحق لعيسف في الآية الخامسة والثلاثين من المقطع السابع والعشرين من سفر التكوين: "قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ، وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ".

وبعد قرون، يقول النبيّ هوشِع، في الآيتين الثالثة والرابعة من المَقطع الثاني عشر من سفر هوشِع: "لِلرَّبِّ خِصَامٌ عَلَى يَهُوذَا، وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يُعَاقِبَ يَعْقُوفَ بِحَسَبِ طُرُقِهِ، بِحَسَبِ أَفْعَالِهِ يَرُدُّ عَلَيْهِ. فِي الْبَطْنِ قَبَضَ بِعَقِبِ أَخِيهِ، وَبِقُوَّتِهِ جَاهَدَ مَعَ اللَّهِ". أمّا النبيّ يرمياهو/إرميا، فقد استخدم اسم يعقوف ليرمز إلى من يمارس الخداع، كما جاء في الآية الثالثة من المقطع التاسع من سفر إرمياء: "اِحْتَرِزُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِهِ، وَعَلَى كُلِّ أَخٍ لاَ تَتَّكِلُوا، لأَنَّ كُلَّ أَخٍ يَعْقُبُ يَعْقُوفَ – 'عَقُوب يَعقوف'، وَكُلَّ صَاحِبٍ يَسْعَى فِي الْوِشَايَةِ".

ومن الطبيعي أن يستمرّ التوتّر والصراع، والتنافس ما دام يعقوف يسعى لأن يكون عيسف. لقد كان عيسف يشعر أنّه خُدِع، وكان يعقوف يشعر بالخوف. وفي تلك الليلة، قبيل لقائه بعيسف بعد فراقٍ دام اثنتين وعشرين سنة، صارَع يعقوف نفسَه، مواجهًا مخاوفه العميقة، واستطاع أخيرًا أن يتحرّر من صورة عيسف، صورةِ الشخص الذي لطالما أراد أن يكونه، وهي صورةٌ ظلّ يحملها في داخله طوال تلك السنين. وقد كانت هذه هي اللحظة الحاسمة في حياة يعقوف، لأنّه من تلك اللحظة فصاعدًا، أصبح راضيًا بأن يكون نفسه، دون أقنعة، أو تقمّص. فحين نكفّ عن الرغبة في أن نكون شخصًا آخر، وهي الرغبة التي عبّر عنها شكسبير في السونيت رقم 29: "راغبًا في موهبةِ هذا، أو حظَّ ذاك، لا أكاد أرضى بأعظم ما لديّ"[3]، فقط حينها نستطيع أن نتصالح مع أنفسنا، ونعيش في سلامٍ مع العالَم من حولنا.

هذه واحدةٌ من أعظم تحديات القيادة. فمن السهل جدًّا أن يسعى القائد إلى كسب الشعبيّة بأن يُصبح، ببساطة، ما يريده الناس أن يكون - فيُصبِحُ قائدًا ليبراليًّا أمام الليبراليّين، ومحافظًا أمام المحافظين - متّخذًا قراراتٍ تُرضي الجماهير في لحظتها، بدلًا من أن تنبع من مبدأ راسخٍ ويقينٍ داخليّ. وقد كتب المستشار الرئاسي الأميركي ديفيد غيرغِن عن بيل كلينتون قائلًا إنّه: "ليس متأكّدًا تمامًا من هويّته بعد، ويحاول تعريف نفسه بناءً على رأي الآخرين فيه ومحبّتهم له. وهذا ما يدفعه إلى تناقضات شتّى، ويجعل صورته أمام الناس مزيجًا دائمًا من القوّة والضعف".[4]

---

2. Rene Girard, *Violence and the Sacred* (London: Athlone Press, 1988).

3. Shakespeare, “Sonnet 29.”

4. David Gergen, *Eyewitness to Power* (New York: Simon & Schuster, 2001), 328.

يحاول بعض القادة أحيانًا "الحفاظ على وحدة وتماسك الفريق" من خلال قول أشياء مختلفة لأشخاص مختلفين، أي أنّه يقول لكلّ شخصٍ ما يرضيه، بدلًا من أن يقول الشيء ذاته للجميع. لكنّ هذه التناقضات سرعان ما تنكشف، وخصوصًا في زمن الشفافيّة الكاملة التي تفرضها وسائل الإعلام الحديثة. والنتيجة أنّ القائد يبدو وكأنّه يفتقر إلى الصدق والنزاهة، ويتوقف الناس عن الثقة في أقواله وتصريحاته. ومع تراجع الثقة، تضعف هيبته أمام الناس، وقد يحتاج استرجاعها إلى وقتٍ طويل، إنْ أتيح له استعادتها أصلًا. ونتيجةً لذلك، قد يجد القائد نفسه في موقفٍ لا يمكن الدفاع عنه، وقد يُجبر على الاستقالة. إذ إنّ السعي المحموم للقائد وراء الشعبية هو من أكثر ما يُفقِدُهُ إياها.

يتمتّع القادة العِظام بشجاعة التعايش مع الشعبية المتدنّية. وأبرز مثالٍ على ذلك أبرهام لينكولن، الذي تعرّض خلال حياته للسخرية والتجريح، وقد كتبت عنه صحيفة نيويورك تايمز عام 1864 هذه الكلمات: "لقد تعرّض للانتقاد والإدانة المستمرّة دون توقّف، فَوُصِفَ بأنّه حانثٌ بالقَسَم، ومُغتصبٌ للسّلطة، وطاغية، ومُنتهكٌ للدستور، ومُدمِّرٌ لحريّات بلده، ومتهوّرٌ طائش، وبأنّه يستخفّ بلا رحمةٍ بآلام أمّةٍ تحتضر".[5] أما تشرشل، فقبل أن يُصبِحَ رئيس وزراء خلال الحرب العالمية الثانية، كان الناس يعتبرونه فاشلًا. وبعد الحرب، خسر الانتخابات العامّة عام 1945. وقد اغتيلَ جون كينيدي ومارتن لوثر كينغ الابن. وعندما توفّيت رئيسة الوزراء البريطانيّة مارغريت تاتشر، احتفل بعض الناس بموتها في الشوارع.

لم يكن يعقوف قائدًا، إذ لم يكن في زمنه شعبٌ ليقوده. ومع ذلك، تُفرد له التوراة مساحةً واسعةً من السرد لتُطلعنا على صراعه الداخليّ من أجل الهويّة. ذلك لأنّ هذا النوع من الصراع لا يقتصر عليه وحده، بل هو صراع يمرّ به كثيرٌ من الناس. ولا تعني الكلمة العبريّة "آڤوت"، التي تُطلق على أڤرَهام/إبراهيم ويتسحق ويعقوف، "الآباء" أو "الأجداد الأوائل" فحسب، بل تشير أيضًا إلى "النماذج الأصليّة" التي نرى أنفسنا من خلالها. ومن الصعب أن نتغلّب على رغبتنا في أن نكون شخصًا آخر أو الرغبة فيما لدى الآخرين، أو أن نقاوم طموحنا إلى أن نصبح مثلهم. وهذه المشاعر تراود معظمنا في الكثير من الأحيان، وقد برهن رينيه جيرار بأنّها كانت، عبر التاريخ، من أبرز أسباب النزاع بين البشر. وقد نقضي عمرنا كلّه في صراعٍ داخليٍّ، قبل أن نُدرك مَن نكون، ونتحرّر من التوق لأن نكون شخصًا آخر.

لا توجد شخصيّةٌ في سفر التكوين تواجه صراعات بقدر يعقوف، فلم يقتصر الأمر على علاقته بعيسف، بل شاب الصراع أيضًا علاقته مع لاڤان، والد زوجتيه، وقد عاش حياته في ظلّ التوتّر القائم بين زوجتيه راحيل وليئاه/ليئه، وبين أولاده متمثّلًا في الأحداث التي وقعت بين يوسف وإخوته. وكأنّ التوراة تُخبرنا أن الصراع الخارجيّ حولنا ما هو إلا مرآة للصراع في داخلنا. فما دمنا لم نتخلّص من التوتّر في أعماقنا، فإنّ العالم من حولنا سيظلّ يعكسه بصورٍ متعدّدة. وعلينا إذن أن نتصالح مع أنفسنا أوّلًا، قبل أن نسعى إلى التصالح مع الآخرين. فلن نشعر بالسلام مع العالم الخارجيّ إلّا حين تُغمَرُ نفوسنا بالسلام الداخليّ أوّلًا.

وهذا تمامًا ما يحدث في هذا النصّ التوراتيّ الأسبوعيّ. فبعد أن يصارع يعقوف ذاك الغريب في الظلام، يمرّ بتحوّل داخليّ عميق في شخصيّته. فيعيدُ إلى عيسف البركة التي كان قد أخذها منه، بعد أن أعاد له في اليوم السابق البركة الماديّة، حين أرسل إليه مئاتٍ من المعز والنعاج والأكباش والجمال والبقر والثيران والحمير، وذلك كما ورد في المقطع الثاني والثلاثين من سفر التكوين، ثمّ ها هو الآن يُعيد له البركة الرمزيّة التي نُصَّ عليها في الآية التاسعة والعشرين من المقطع السابع والعشرين من سفر التكوين: "كُنْ مَوْلَى إِخْوَتِكَ، ويَخْضَعُ لَكَ بَنُو أُمِّكَ". وهكذا سجد يعقوف سبع مرّات لعيسف! وخاطبه قائلًا له: "سيّدي"، كما ورد في الآية الثامنة من المقطع الثالث والثلاثين، ووصف يعقوف نفسه بـِ"عبدكَ"، كما في ورد في الآية الخامسة من المقطع ذاته. حتّى أنّه استخدم الكلمة نفسها - البركة - في الآية الحادية عشرة من المقطع الثالث والثلاثين، حين يقول له: "خُذْ بَرَكَتِي الّتِي أُتِيَ بِهَا إِلَيْك". والنتيجة هي أنّ الأخوين يلتقيان ثمّ يفترقان بسلام.

---

5. Quoted in John Kane, *The Politics of Moral Capital* (Cambridge, England: Cambridge University Press, 2001), 71.

يتصارع الناس فيما بينهم لأنّ رغباتهم مختلفة، وميولهم شتّى، وطبائعهم متباينة. وحتّى لو لم تكن هذه الاختلافات في التطلّعات قائمةً، لظلَّ التوتّر قائمًا بين الناس، كما يعرف كلّ والدٍ من تجربته في تربية أولاده. إذ يسعى الأطفال، بل والكبار أيضًا، إلى جذب الانتباه وأن يكونوا محطّ اهتمامٍ من الآخرين، وليس في وسع المرء أن يعامل الجميع دائمًا بالإنصاف والتساوي. وإنّ إدارةَ التوتّرات التي تعصف بكلّ جماعة بشريّة هي مهمّة القائد، وإذا لم يكن القائد واثقًا من نفسه، ولم يكن ذا هويةٍ راسخةٍ فإنّ تلك التوتّرات ستبقى بلا حلّ. وحتى لو ظنّ القائد نفسه صانعَ سلام، فإنّ الصراعات ستستمرّ، ولن يتحقّق السلام من خلاله.

يكمن الحلّ الوحيد في مبدأ "اعرفْ نفسَك": ولا بدّ للمرء أن يصارع نفسه كما فعل يعقوف في تلك الليلة المصيريّة، وأن يتخلّص من صورة الشخصِ الذي يتمنّى أن يكونَه دون أن يمتلك في الحقيقة صفات ذلك الشخص، وعليه أيضًا أن يتقبّل أنّ بعض الناس سيُحبّونه ويُحبّون ما يُمثّله، بينما لن يحبّه البعض الآخر، وعليه أن يعي أنّ السعي لكسب احترام البعض أفضل من السعي وراء إرضاء الجميع. وقد يتطلب هذا الطريق صراعًا يستمرّ العمر بأكمله، لكن القوّة التي يمنحها للمرء عظيمةٌ جدًّا. فلا يوجد من هو أقوى من إنسانٍ يعرف من هو، ويعرف ما الذي يُمثّله في هذا العالم.

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion*